المحاضرة الثامنة: قضايا النقد عند الفلاسفة المسلمين

لقد كان التوسع الحضاري للمسلمين واختلاطهم بالأمم الأخرى عاملاً أساسياً في انتقال الفكر الفلسفي اليوناني إلى الثقافة العربية الإسلامية، حيث وجد العرب أنفسهم أمام تراث فلسفي ضخم، خاصة مؤلفات أفلاطون وأرسطو، التي أثرت في مسار النقد الأدبي والفكري عندهم. وقد انعكس هذا التأثر بشكل واضح على الفلاسفة المسلمين الذين تناولوا قضايا الشعر والخطابة بمنهج عقلاني، ومن أبرز هؤلاء الفارابي وابن سينا وابن رشد. هؤلاء الفلاسفة لم يكتفوا بالنقل، بل حاولوا أن يفسروا ويعللوا ويعيدوا صياغة المفاهيم بما يتناسب مع طبيعة الثقافة العربية الإسلامية.

*** الفارابي:**

يُعدّ **الفارابي** من أعظم فلاسفة الحضارة الإسلامية، وهو من أبرز المفكرين الذين أسهموا في نقل الفلسفة اليونانية إلى الثقافة الإسلامية وتطويرها. اسمه الكامل **أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي**، وُلِد نحو سنة **870م** في مدينة **فاراب**)وتُعرف اليوم باسم **أترار** في **كازاخستان**(، وتوفي سنة **950م** في مدينة **دمشق** في **سوريا**. لقّب الفارابي بـ **"المعلم الثاني"**، لأن الفيلسوف **أرسطو** كان يُلقب بـ "المعلم الأول". ويعكس هذا اللقب المكانة الكبيرة التي احتلها الفارابي في تاريخ الفلسفة.

كان من أبرز من شرح مؤلفات أرسطو، وقد ألّف كتباً عديدة في الفلسفة والمنطق والأدب مثل كتاب **الشعر** وكتاب **الخطابة** ورسالة في **قوانين صناعة الشعر** .

نظر إلى الشعر باعتباره "أقاويل شعرية" تهدف إلى المحاكاة والتخييل، حيث يقول" :الأقاويل الشعرية هي التي من شأنها أن تؤلف منها أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول وتعتمد على الكذب لأنها تهدف إلى محاكاة الشيء على غير ما هو عليه في الواقع بل على ما يريد الشاعر ".وقد صنّف المحاكاة إلى نوعين: محاكاة بالفعل مثل صناعة التماثيل أو أداء أفعال تحاكي الإنسان، ومحاكاة بالقول عبر تركيب أقوال تحاكي موضوعاً معيناً. وبذلك اعتبر أن الفنون جميعها تشترك في مبدأ المحاكاة لكنها تختلف في أدواتها ووسائلها، مؤكداً أن الغاية هي إحداث أثر في ذهن المتلقي لا مجرد نقل الواقع. هذا التصور يضع الفن في إطار إبداعي لا نقلي، حيث يصبح التخييل وسيلة لإعادة تشكيل الواقع في ذهن المتلقي.

*** ابن سينا:**

أما ابن سينا، الملقب بـ "الشيخ الرئيس" و"المعلم الثالث"، فهو من أعظم فلاسفة وعلماء الحضارة الإسلامية، وقد جمع بين الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضيات. اسمه الكامل **أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا**، وُلد سنة **980م** في قرية أفشنة بالقرب من **بخارى** في بلاد **خراسان**، وهي اليوم جزء من **أوزبكستان**، وتوفي سنة **1037م** في مدينة **همدان**.كان ابن سينا من كبار الفلاسفة في الحضارة الإسلامية، وقد تأثر بفلسفة **أرسطو** وطورها، كما تأثر ببعض أفكار **الفارابي** .ومن أشهر مؤلفاته الفلسفية كتاب **الشفاء**، وهو موسوعة علمية وفلسفية ضخمة تناولت المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات.

وصف **ابن سينا** الشعر بأنه "كلام مخيِّل"، أي كلام موزون مقفى يهدف إلى إثارة الانفعال النفسي. يقول" :المخيِّل هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور، وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري ".وقد فرّق بين الشعر والخطابة قائلاً" :الشعر يستعمل التخييل، والخطابة تستعمل التصديق ".وهذا التفريق يوضح أن الشعر عنده ليس وسيلة للإقناع العقلي بل للإثارة الوجدانية. كما ميّز ابن سينا بين طبيعة الشعر العربي والشعر اليوناني، حيث رأى أن الشعر اليوناني يركّز على محاكاة الأفعال والأحوال، بينما الشعر العربي يهدف إلى إثارة العجب والتأثير النفسي. يقول" :الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال والأحوال لا غير، بينما العرب كانوا يقولون الشعر ليؤثر في النفس أمراً من الأمور أو للتعجب فقط ".هذا التمييز يعكس وعيه باختلاف البنية الثقافية بين العرب واليونان، ويدعو إلى تأسيس نظرية شعرية عربية مستقلة. وفي ختام تلخيصه لكتاب أرسطو في الشعر، دعا ابن سينا إلى ابتكار نظرية جديدة تناسب طبيعة الشعر العربي وعادات عصره، مؤكداً أن ما وصل من التراث اليوناني لا يكفي وحده لتفسير الشعر العربي.

*** ابن رشد:**

يُعدّ **ابن رشد** من أعظم فلاسفة الإسلام في الأندلس، وهو عالم موسوعي جمع بين الفلسفة والفقه والطب وعلم الكلام. اسمه الكامل **أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد**، وُلد سنة **1126م** في مدينة **قرطبة** في **الأندلس**، وتوفي سنة **1198م** في مدينة **مراكش** في **المغرب**. وقد كان أكثر الفلاسفة اقتراناً بأرسطو، حيث خصص جزءاً كبيراً من حياته لدراسة فلسفته وشرحها. ألّف تلخيص الخطابة وشرح كتاب فن الشعر .غير أن ترجمته تميّزت بالاختلاف عن غيره، إذ استبدل أمثلة أرسطو بأمثلة عربية من الشعر والقرآن، مما أثار جدلاً حول دقة فهمه للمصطلحات. وقد

ربط ابن رشد المحاكاة بالتشبيه والتخييل، فقال" :يجب على الشاعر أن يلزم في تخييلاته ومحاكاته الأشياء التي جرت العادة في استعمالها في التشبيه، وألا يتعدى ذلك طريقة الشعر ".وحدد ثلاثة عناصر أساسية للشعر: الوزن، اللحن، والكلام، وأضاف" :المحاكاة في الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفقة، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيه نفسه ".كما أوضح العلاقة بين الوزن والمعنى والتخييل قائلاً" :من التخييلات والمعاني ما يناسب الأوزان الطويلة، ومنها ما يناسب القصيرة، وربما كان الوزن مناسبا للمعنى غير مناسب للتخييل، وربما كان الأمر بالعكس ".هذا التصور يبرز اهتمامه بالعلاقة بين الشكل والمضمون، وبين الوزن والمعنى، وهو ما يعكس محاولته التوفيق بين التراث اليوناني والواقع العربي.

إن الفلاسفة المسلمين أسهموا في تطوير النقد الأدبي عبر إدخال أدوات التحليل الفلسفي والمنطقي، فالفارابي ركّز على مفهوم المحاكاة كجوهر للفنون، وابن سينا أبرز دور التخييل في الشعر مقابل التصديق في الخطابة، وميّز بين الشعر العربي واليوناني، بينما ابن رشد ربط المحاكاة بالتشبيه والتخييل واهتم بالعلاقة بين الوزن والمعنى. وبذلك ارتقى النقد من مجرد انطباعات وتأثرية إلى مستوى فلسفي عقلاني، مما أسس لمرحلة جديدة في تاريخ النقد العربي، حيث أصبح النقد أكثر عمقاً وتحليلاً، وأقرب إلى أن يكون علماً قائماً بذاته.